

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ مِنَ الْقَصَصِ الْعَجِيبِ الَّذِي أَعَادَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَثَنًا: **«قصة موسى عليه السلام مع فرعون»**، لكونها مُشتملة على حُكْم عظيمة وعِبر بالغة وعِظات مؤثرة، وفيها نَبُؤُهُ سُبْحَانَهُ مع الْمُؤْمِنِينَ والظَّالِمِينَ بإعزاز الْمُؤْمِنِينَ ونصرهم وإِذلال الكافرين وحُذْلَانِهِمْ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [القصاص: 7].

ولمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِنْقَاضَ هَذَا الشَّعْبِ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ وطغيانه وتكبره وعدوانه، أجرى من الأسباب العظيمة ما لم يشعر به فرعون ولا أوليائه ولا أعداؤه، حيث أَمَرَ سُبْحَانَهُ أُمَّ موسى عليه السلام أن تضع وليدها موسى في تابوت مُغْلَقٍ ثم تلقية في اليم، ووعدها تبارك وتعالى بحِفْظِهِ وبشِّرها بأنَّهُ سِيرُهُ إِلَيْهَا وأنه سَيَكْبُرُ وَيَسْلُمُ من كيدهم، وأنه سُبْحَانَهُ سيجعله من المرسلين ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصاص: 7].

ففعَلَتْ ما أَمَرَتْ به، وساقَ اللَّهُ هَذَا التَّابُوتَ وبدخله موسى عليه السلام يتقاذفه المَوْجُ إلى أن وصلَ مكان قريب من فرعون وآله ﴿فَالْتَفَتَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصاص: 8]، وفي هذا أَنَّ الحذر لا ينفع من القدر، فَإِنَّ الَّذِي خَافَ مِنْهُ فِرْعَوْنَ وَقَتَلَ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَجْلِهِ قَيَّضَ اللَّهُ أَنْ يَنْشَأَ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَيَتْرِبَى تَحْتَ يَدِهِ وَعَلَى نَظَرِهِ فِي كِفَالَتِهِ.

ومن لُطْفِ اللَّهِ بِمُوسَى وأُمِّهِ أَنْ مَنَعَهُ مِنْ قَبُولِ الرِّضَاعَةِ مِنْ ثَدْيِ أَيِّ امْرَأَةٍ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى السُّوقِ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهَا الرِّضَاعَ، فَجَاءَتْ أُخْتُهُ

وهو بتلك الحال ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصاص: 12]، فاشتملت مقالتها هذه على التَّغْيِيبِ فِي أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ وَبَيَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَمَامِ الْحِفْظِ وَحُسْنِ الْكِفَالَةِ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصاص: 13].

ولمَّا بَلَغَ عليه السلام أَشَدَّهُ وَاسْتَوَى، آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا؛ حُكْمًا يَعْرِفُ بِهِ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ وَالْفَصْلَ بَيْنَ النَّاسِ، وَعِلْمًا كَثِيرًا.

ثُمَّ جَرَتْ أَحْدَاثٌ مِنْهَا قَتْلُ مُوسَى عليه السلام لِلْقَبْطِيِّ، وَتَشَاوُرُ مَلَأِ فِرْعَوْنَ مَعَ فِرْعَوْنَ عَلَى قَتْلِهِ وَاجْتِمَاعُ رَأْيِهِمْ عَلَى ذَلِكَ، وَيَبْلُغُ مُوسَى الْخَبَرَ فَيُخْرِجُ مِنْ مِصْرَ ﴿خَافًا يَتَّقِبُ﴾ [القصاص: 21] ودعا الله ﴿قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصاص: 21].

وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي رِحْلَتِهِ تِلْكَ بِالزَّوْجِ مِنْ امْرَأَةٍ صَالِحَةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَكْرَمَهُ بِأَعْظَمِ كَرَامَةٍ وَحِبَاهِ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ فَجَعَلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿قَالَ يَمْوِسَّىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَحِذِّ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].

وَأَيَّدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْحُجَجِ الْبَاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ ﴿أَسْأَلُكَ بِكَ فِي جَمِيعِكَ تَخْرُجُ بَيَاضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصاص: 33].

وَيَأْمُرُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالتَّوَجُّهِ إِلَى فِرْعَوْنَ لِدَعْوَتِهِ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ قَوْلًا لِينًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. وَيَطْلُبُ مُوسَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعِينَهُ عَلَى مَا حَمَلَهُ وَأَنْ يُسَدِّدَهُ فِيمَا وَكَلَّ إِلَيْهِ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ إِنَّهُمْ نَفْسًا فَآخِفُوا أَنْ يَقْتُلُونِي

﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصاص: 34]. فَأَجَابَهُ اللَّهُ فِيمَا سَأَلَ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصاص: 35].

وَيَأْتِي الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ عليه السلام لِإِنْفَاضِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ وَأَدَاءِ هَذَا الْمَطْلَبِ الْعَظِيمِ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي﴾ ﴿١٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِينًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿١٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿١٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٦﴾ فَأَيَّاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغْلِبْهُمْ قَدْ جُنِّتَكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿١٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٨﴾ [طه: 4].

وَيَتَوَجَّهُ مُوسَى وَأَخُوهُ هَارُونَ عليه السلام بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَقُوَّةٍ وَثَبَاتٍ لِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ وَتَنْفِيزِ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ.

لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَى عليه السلام بِالْآيَاتِ وَالسُّلْطَانِ الْمُبِينِ إِلَى فِرْعَوْنَ الَّذِي تَكَبَّرَ عَلَى الْمَلَأِ وَقَالَ (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)، فَجَاءَهُ مُوسَى بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ **وَدَعَاهُ إِلَى تَوْحِيدِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ**، فَقَالَ فِرْعَوْنَ مُنْكَرًا وَجَاحِدًا: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23]، فَأَنْكَرَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي قَامَتْ بِأَمْرِهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ وَكَانَ لَهُ آيَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَأَجَابَهُ مُوسَى ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: 24]. ففِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْآيَاتِ مَا يُوجِبُ الْإِيْقَانَ لِلْمُوقِنِينَ، فَقَالَ فِرْعَوْنَ لِمَنْ حَوْلَهُ سَاخِرًا وَمُسْتَهْزِئًا بِمُوسَى: ﴿الْأَسْمِعُونِي﴾ [الشعراء: 25]، فَذَكَرَهُ

قصة

موسى عليه السلام مع فرعون

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

العلامة
أحمد رضا بن محمد عبد السلام

شارك في نشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية

البحر أمره الله أن يضربه بعضاه فضربه فانفلق البحر اثني عشر طريقاً، وصار الماء السيل بين هذه الطرق كأطواد الجبال، فلما تكامل موسى وقومه خارجين، وتكامل فرعون بجنوده داخلين، أمر الله البحر أن يعود إلى حاله فانطبق على فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين.

فانظروا - رحمكم الله - إلى ما في هذه القصة من العبر والآيات؛ كيف كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل خوفاً من موسى، فتربى موسى في بيته وتحت حجر امرأته!! وكيف قابل موسى هذا الجبار العنيد مصرحاً معلناً بالحق هاتفاً به «ألا إن ربكم هو الله رب العالمين» فأجابه الله منه!! وكيف كان الماء السيل شيئاً جامداً كالجبال بقدرة الله، وكان الطريق يسيراً لا وحل فيه ولا زلق!! وكيف أهلك الله هذا الجبار العنيد بمثل ما كان يفتخر به، فقد كان يفتخر بالأنهار التي تجري من تحته فأهلك بالماء!!

ولاشك أن ظهور آيات الله في مخلوقاته نعمة كبرى يستحق عليها الحمد والشكر، خصوصاً إذا كانت في نصر أولياء الله وحزبه ودحر أولياء الشيطان وحزبه. ولذلك لما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون اليوم العاشر من هذا الشهر - شهر المحرم - ويقولون إنه يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه فصامه موسى شكراً، فقال النبي ﷺ «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ⁽¹⁾، وسئل النبي ﷺ عن صيامه فقال: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»⁽²⁾.

فينبغي للمسلم أن يصوم يوم عاشوراء وكذلك اليوم التاسع لتحصل بذلك فضيلة صيامه ومخالفة اليهود التي أمر الرسول ﷺ بها.

(1) رواه البخاري (2004)، ومسلم (1130) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(2) رواه مسلم (1162) من حديث أبي قتادة رضى الله عنه.

موسى بأصله وأنه مخلوق من العدم وصائر إلى العدم كما عدم أباهو الأولون فقال موسى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء]، وحينئذ بُهِت فرعون فادعى دعوى المكابر المغبون فقال: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ رَبِّ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 27]، فطعن بالرسول والمرسل، فردّ عليه موسى ذلك وبيّن له أنّ الجنون إنّما هو إنكار الخالق العظيم فقال: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَنْتَهِيانِ إِنَّكُم مِّنْ قَوْمٍ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء]. فلما عجز فرعون عن ردّ الحق لجأ إلى التهديد والتوعد بالسّجن فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَاقَ إِلَى الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء].

وما زال موسى يأتي بالآيات كالشمس، وفرعون يُحاول بكلّ جهده ودعاياته أن يقضي عليها بالرد والطمس حتّى قال لقومه: ﴿يَقَوْمِ الْبَاسُ إِلَيَّ مَلِكٌ وَمَصْرٌ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٥١] أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [٥٢] فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَلَّةٌ مَّعَهُ الْمَلَكُ مَقَرَّرِينَ [٥٣] فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [٥٤] فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ [٥٥] فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ [٥٦] [الزخرف].

وكان من قصة إغراقهم أن الله أوحى إلى موسى أن يسري بقومه ليلاً من مصر فاهتمّ لذلك فرعون اهتماماً عظيماً، فأرسل في جميع مّدائن مصر أن يحشر النّاس للوصول إليه لأمر يريده الله، فجمع فرعون قومه وخرجوا في إثر موسى متّجهين إلى جهة البحر الأحمر ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ [الشعراء]، البحر من أمامنا فإن خُضناه غرقنا، وفرعون وقومه خلفنا فإن وقفنا أدر كنا؛ فقال موسى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء]، فلما بلغ